الخاتمة

إن البحث في مسألة العقل والنقل تبقى بين مد وجزر ومناقشتها والخوض فيها من أجل تحديد الخطوط الدقيقة بين ما هو عقلي ونقلي فضلاً عن التداخلات في تلك القضايا التي تعتبر من المسائل التي تناولها المفكرون والفلاسفة على مر العصور، فاختلفت المذاهب والاتجاهات الفكرية بين ما هو داخل حدود العقل والمحسوس، ومنهم من دخل في المسائل الإلهية وترك الجوانب المادية باتجاه الشرع على حساب العقل، في حين لا يوجد هناك مسائل خلافية بين الشرعية والعقل بل مكملان لبعضهما البعض، فلا إفراط ولاتفريط، ومسألة التأويل والاجتهاد معزوة إلى العقل وهذا متاح في الشرعية فالغزالي لم يكتف برد العلوم العقلية إلى العلوم الشرعية، بل اعتبر العقل نوراً إلهيا في الصدر فيساعدالإنسان على الفهم والإدراك والتصديق بوحدانية الله وعبوديته واليقين بالأمور الأزلية والعلوم الشرعية، وبهذا تحول العقل إلى أمر الهي مما أدى إلى طريق التصوف وهو انشراح الصدر وزوال الحجب المادية التي تجعل العقل والنفس والروح مرتهنة لها، وبحالة التصوف، هذه تجعلة أكثر تحرراً في إطلاق الأحكام إلى المغالاة في التصوف، ولا نجد في هذا المقام إلا طلب الزمخشري من الغزالي شرح مقولة عز وجل ((الرحمن على العرش استوى)) فقال الغزالي مجيبا له :

قلُ لمن يفهمُ عني ما أقولْ

أترك البحث فذا شرح يطولْ

ثم سر غامض من دونه

ضربت بالسيف أعناق الفحولْ

أنت لا تعرف إياك ولا

تدري من أنت ولا كيف الوصولْ

لا ولا تدري صفات رُكِّبتْ

فيك حارت في خفاياها العقولْ

جل ذاتاً وصفات وعلا

وتعالى ربنا عما تقولْ

أين منك الروحُ في جوهرها

هل تراها أو ترى كيف تجولْ

أنت أكلُ الخبزِ لا تعرفه

كيف يجري فيك أم كيف يؤولْ

فإذا كانت طواياك التي

بين جنبيك بها أنت جهولْ

كيف تدري مَنْ على العرش استوى

obeikandi.com

لا تقل : كيف استوى كيف الحلولْ

فهو لا كيف ولا أين له

هو رب الكيّف والكيّف يحولْ

وهو فوق الفوق لا فوق له

وهو في كل النواحي لا يزولْ

قلت : هذه الأبيات تغني عن مجلدات عديدة من الكتب للرد على الزمخشري ومن شايعه في مسألة الاستواء.

إن ما قدم ما هو إلا غيض من فيض لتلك المسألة التي تناولها الغزالي وما جاءت به الشواهد ما هو إلا جزاءاً يسيراً مما قاله، لعل هذه الدراسة تكون إحدى الدراسات التي تناولت هذه المسائل، ولن نقول أكثر مما قلناه .

والله أعلم .

الباحث

obeikandl.com